

أضواء البيان

@ 24 @ معروف بالتقى والديانة كما هو مقرر في الأصول . .

فالقرآن أباح تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ، ولمصلحة الرجل بعدم تعطّل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة ، ولمصلحة الأمة ليكون عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من أعمى بصيرته بظلمات الكفر . وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير ، وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطّل بعض منافع الرجل ، وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع . والعلم عند الله تعالى . .

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم تفضيله الذكر على الأنثى في الميراث . كما قال تعالى : { وَإِنْ كَانُوا مِنْ إِخْوَةٍ رَجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } . . . وقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه يبين لخلق هذا البيان الذي من جملة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لئلا يضلوا . فمن سوى بينهما فيه فهو ضال قطعاً . . ثم بين أنه أعلم بالحكم والمصالح وبكل شيء من خلقه بقوله : { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ شَدِيدٌ عَلِيمٌ } ، وقال : { يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ } . . .

ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعد لها تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث الذي ذكره الله تعالى . كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : { الرَّجُلُ قَوَّامٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الرِّجَالُ } أي وهو النساء ، وقوله : { وَلِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ دَرَجَةٌ } وذلك لأن الذكورة في كمال خلقي ، وقوة طبيعية ، وشرف وجمال . والأنوثة نقص خلقي ، وضعف طبيعي ، كما هو محسوس مشاهد لجميع العقلاء ، لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس . .

وقد أشار جلّ وعلا إلى ذلك بقوله : { أَوَمَنْ يُنْذِرُ فِي الْحُلِيِّ وَالزَّيْنَةِ } أي في الحلي والزينة من الولد ، ومع ذلك نسبوا له أخس الولدين وأنقصهما وأضعفهما . ولذلك ينشأ في الحلية أي الزينة من أنواع الحلي والحلل ليحبر نقصه الخلقي